دراسة بيانية لسورة الفاتحة عند فاضل السامرائي

A graphic study of Surat Al-Fatihah by Fadel Al-Samarrai

الدكتور بـوراس ميلـود[1]*

جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم (الجزائر)

miloudbouras29@gmail.com

تاريخ الاستلام: ../../ 2022 ـ تاريخ القبول: ../../2022 ـ تاريخ النشر: ../../2022

ملخص:

إنّ الرؤية البيانية عند السامرائي تميزت ببعدها عن التعقيد وشطط التأويلات،وتميزت عن سابقيها بعرض أسلوب الحوار مع القارئ واستحضار ما يجول في ذهنه من تساؤلات وإشكاليات حول النص القرآني وذلك من خلال تبادل الأفكار بينه وبين القارئ بتفكيكه للنص القرآني من حيث البناء والتقديم والتأخير والذكر والحذف.

وقد خصصت هذه الدراسة لتسليط الضوء على جهود فاضل السامرائي من خلال كتابه " لمسات بيانية " وهو كتاب معاصر من أواخر ما أنتجت المدرسة البيانية ينصب اهتمامه فيه على إفهام إعجاز القرآن البياني, وتذوق أسراره البلاغية على هدي التتبع الدقيق لتعبيره مما رغبني في الكشف عن قواعد منهجه, وطريقته التفسيرية .

الكلمات المفتاحية: سورة الفاتحة،مستويات لغوية،فاضل السامرائي،لمسات بيانية.

Abstract:

The graphic vision of al-Samarrai was distinguished by its distance from complexity and excessive interpretations, and it was distinguished from its predecessors by displaying the method of dialogue with the reader

* المرسل: الدكتور ميلود بوراس

1

and evoking the questions and problems in his mind about the Qur'anic text, through the exchange of ideas between him and the reader by dismantling the Qur'anic text in terms of construction, presentation, delay, mention and omission.

This study was devoted to shedding light on the efforts of Fadhil al-Samarrai through his book "Painting Touches", which is a contemporary book from the late production of the Bayaniyah school. and his explanatory method.

Keywords:
Al-Fatihah, linguistic levels, Fadel Al-Samarrai, graphic touches.

1 ـ مقدمة:

عُنِيَ المسلمون منذ فجر الإسلام وانبثاق نور الهداية على ربوع العالم بالقرآن العظيم،مصدر تلك الهداية ، ومنبع ذلك الإشراق،عناية كبرى شملت جميع نواحيه، فالقرآن العظيم كان ولا يزال نبعًا فياضًا ينهل منه طلاب العلم، فلا هم يرتوون ولا هو ينضب ،ولا تنقضي عجائبه، يزيدهم علمًا ويقينًا كلما زادوه نظرًا وفكرًا»، فهو الخطاب الرَّباني الذي «لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ».فصلت الآية: 41.

وإنَّ من جوانب الخطاب الإلهي ما اشتمل عليه من تَفنُن في أساليب البيان، وفخامة التعبير،ولقد زخرت المكتبة الإسلامية من آثار هذا النشاط العظيم ،بل زخرت مكتباتٌ أخرى من أمم أخرى بكنوز رائعة يقف العقل أمامها حائرًا ،يخالجه مزيجٌ من الإعجاب والمهابة، وكثيرة هي الكتب التي تتحدث عن جزالة لفظه ودقة معناه وبراعة أسلوبه ،ومن هاته الكتب *كتاب فاضل صالح السامرائي لمسات بيانية في نصوص من التنزيل* الذي يعد قامةً من المفسرين المعاصرين وصاحب منهج خاص في علم اللُّغة والبيان القرآني ومن تأمل كتابه هذا عرف قدر الرجل وعلمه.

وقد خصصت هذه الدراسة لتسليط الضوء على جهود فاضل السامرائي من خلال كتابه " لمسات بيانية " وهو كتاب معاصر من أواخر ما أنتجت المدرسة البيانية ينصب اهتمامه فيه على إفهام إعجاز القرآن البياني, وتذوق أسراره البلاغية على هدي التتبع الدقيق لتعبيره مما رغبني في الكشف عن قواعد منهجه, وطريقته التفسيرية .

وكل هذا جعلني أطرح جملة من التساؤلات – : ما الذي قدمه السامرائي من خلال كتابه؟ وما هو المنهج الذي اتبعه في تفسيره ؟ وما هي القواعد والأسس التي اعتمدها في تفسيره في كتابه لمسات بيانية ؟ وما هي أهم المصادر التي اعتمدها في تفسيره ؟

2 ـ سورة الفاتحة دراسة لغوية:

2 ـ 1 ـ المستوى اللغوي:

(الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

-إنَّ أوَّل ما بدأ به السامرائي في كتابه هو الحمد : الثناء على الله بوصف الجميل في كل حال، و الحمد لا يليق الا بالله أما الشكر فيكون لله ولغيره. يقول السامرائي: " الثناء على الجميل من نعمة وغيرها،مع المحبة والإجلال"، فكان يمكن أن يقال الحمد للحي، الحمد للرحيم، الحمد للبارئ، ولكن لو حدث ذلك لأفهم أن الحمد إنما استحقه لهذا الوصف دون غيره، فجاء بالاسم العلَم ليدل على أنه استحق الحمد لذاته هو لا لصفة من صفاته.

-. ربّ العالمين:هي أنسب ما يمكن وضعه بعد (الْحَمْدُ للّهِ) فهو أولى بالحمد من غيره لأن الرب هو المالك والسيد والمربي والمنعم والقيّم فإذن رب العالمين هو ربهم ومالكهم وسيدهم ومربيهم والمنعم عليهم وقيُمهم يعقب السامرائي في كتابه على الآية فعلى هذا يكون قوله : (الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين) إما أن يعني: رب البشر أو المكلَّفين أو رب الخلق كلهم، وغلّب العقلاء منهم. ولهذا التخصيص أو التغليب سببه ذلك أن الكلام في سورة الفاتحة خاص بالعقلاء.

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) أو (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ):

المالك: كل من يملك ومالك هنا : أي يملك إقامة يوم الدين،أي هو مالك يوم الجزاء يعني ملك ما قبله من أيام العمل والعمل يكون في الدنيا فقد شمل يوم الدين الدنيا أيضاً"[1].

2 ـ 2 ـ المستوى النحوي:

(**الْحَمْدُ للّهِ**) جملة اسمية تدل على الدوام والثبوت، لذا فمن القواعد المعروفة في اللغة أن الجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية،، وقراءة بالرفع (الحمدُ لله) تفيد ثبوت الشيء على جهة الاستحقاق ثباتاً دائماً، فهي أولى من قراءة النصب . أي اختصاص الله تعالى وحده بالحمد كله ، ومنها : الاستحقاق : أي الله تعالى يستحق جميع أنواع الحمد من ذلك أن عبارةَ) للهِ الحمدُ (فيها اختصاصٌ، أو إزالةُ شكٍّ عمَّن ادَّعى

أنَّ الحمد لغير الله أو ادّعى أنَّ هناك ذاتاً مشتركة معه في الحمد فقدمتَ الجار والمجرور لإزالة هذا الشك أو لقصد الاختصاص.

فقراءة الرفع عند السامرائي أولى من قراءة النصب ذلك أن قراءة الرفع تدل على أن الجملة اسمية في حين أن قراءة النصب تدل على أن الجملة فعلية بتقدير نحمد أو احمد أو احمدوا بالأمر. والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية لأنها دالة على الثبوت.

وقد يقال أليس تقدير فعل الأمر في قراءة النصب أقوى من الرفع بمعنى" احمدوا الحمد لله "كما تقول" الإسراع في الأمر "بمعنى أسرعوا؟ والجواب لا فإن قراءة الرفع أولى أيضاً ذلك لأن الأمر بالشيء لا يعني أن المأمور به مستحق للفعل. وقد يكون المأمور غير مقتنع بما أمر به فكان الحمد لله أولى من الحمد لله بالنصب في الإخبار والأمر.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أنه قال :الحمد لله ولم يقل أحمد الله أو نحمد الله وما قاله أولى من وجوه عدة: فقول " أحمد الله " أو " نحمد الله " مختص بفاعل معين ففاعل أحمد هو المتكلم وفاعل نحمد هم المتكلمون في حين أن عبارة" الحمد لله "مطلقة لا تختص بفاعل معين وهذا أولى فإنك إذا قلت " أحمد الله " أخبرت عن حمدك أنت وحدك ولم تفد أن غيرك حمده ،في حين أن عبارة" الحمد لله "لا تختص بفاعل معين فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك[2].

قول" أحمد الله "جملة فعلية و"الحمد لله "جملة اسمية والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد في حين أن الجملة الاسمية دالة على الثبوت وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية. فاختيار الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية هاهنا إذ هو أدل على ثبات الحمد واستمراره.

لماذا لم يقل " حمداً لله" ؟ الحمد لله معرفة بأل و "حمداً " نكرة؛ والتعريف هنا يفيد ما لا يفيده التنكير ذلك أن" أل "قد تكون لتعريف العهد فيكون المعنى: أن الحمد المعروف بينكم هو لله، وقد يكون لتعريف الجنس على سبيل الاستغراق فيدل على استغراق الأحمدة كلها".

لا أحد يمنع التقديم لكن التقديم والتأخير في القرآن الكريم يكون حسب ما يقتضيه السياق، المقام في سورة الفاتحة هو مقام مؤمنين يقرون بالعبادة ويطلبون الاستعانة والهداية؛ أما في سورة الجاثية فالمقام في الكافرين وعقائدهم وقد نسبوا الحياة والموت لغير الله سبحانه لذا اقتضى ذكر تفضله سبحانه بأنه خلق السموات والأرض وأثبت لهم أن الحمد الأول لله سبحانه على كل ما خلق لنا فهو المحمود الأول لذا جاءت فلله الحمد مقدمة حسب ما اقتضاه السياق العام للآيات في السورة ونقول :ومَن يُنْكر التقديم والتأخير؟ وإنما يكون ذلك بحسب المقام.

(لله الحمدُ) فيها تقديم الجار والمجرور ، وفي التقديم اختصاص وحصر أو إزالة شك، والمقام في سورة الفاتحة هو مقام مؤمنين يقرون بالعبادة ويطلبون الاستعانة والهداية ، فليس هناك من ادعى أن ذاتاً أخرى قد تشترك معه في الحمد فنزيل الظن عنده، أو أن الحمد لغير الله لنخصه به"[3].

كما أن الحمد في الدنيا ليس مختصا لله وحده، وإن كان هو سببه كله، فالناس قد يحمد بعضهم بعضاً، وفي الحديث (من لم يحمد الناس لم يحمد الله)، فيجوز توجيه الحمد لغير الله في ظاهر الأمر، فلا حاجة للاختصاص بالتقديم.

جاءت اللام في قوله تعالى (الْحَمْدُ للّهِ) للاستحقاق الذاتي: أتى باسم الذات في الحمدلةِ لئلا يتوهم لو اقتصر على الصفة اختصاص استحقاقه الحمد بوصفٍ دون وصف، وذلك لأن اللام على ما قيل للاستحقاق.

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ) :

قدم المفعولين لنعبد ونستعين وهذا التقديم للاختصاص لأنه سبحانه وتعالى وحده له العبادة لذا لم يقل نعبدك ونستعينك لأنها لا تدل على التخصيص بالعبادة لله تعالى، أما قول) إياك نعبد (فتعني تخصيص

العبادة لله تعالى وحده وكذلك في الاستعانة) إياك نستعين (تكون بالله حصر. قدم المفعولين (إِيَّاكَ) ولم يقل نعبدك ونستعينك للاختصاص ". فالآية في(إِيَّاكَ نَعْبُدُ) جاءت تخصيص العبادة لله تعالى وحده و(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ) الاستعانة به حصراً.

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ) :

تكرار ضمير المنفصل إياك يفيد التخصيص على حصر المستعان به؛ لو اقتصرنا على ضمير واحد إياك نعبد ونستعين . لم يعني المستعان إنما عني المعبود فقط ولو اقتصرنا على ضمير واحد لفهم من ذلك انه لا يتقرب إليه إلا بالجمع بين العبادة والاستعانة بمعنى انه لا يُعبد بدون استعانة ولا يُستعان به بدون عبادة[4]".

يفهم من الاستعانة مع العبادة مجموعة تربط الاستعانة بالعبادة وهذا غير وارد وإنما هو سبحانه نعبده على وجه الاستقلال ونستعين به على وجه الاستقلال وقد يجتمعان لذا وجب التكرار في الضمير إياك نعبد وإياك نستعين التكرار توكيد في اللغة، في التكرار من القوة والتوكيد للاستعانة فيما ليس في الحذف.

فوجب التكرار في الضمير إياك نعبد وإياك نستعين لأجل التأكيد ولرفع اللبس. فلو اقتصرنا على ضمير واحد (إياك نعبد ونستعين) لفُهِم أنه لا يُتقرب إليه إلا بالجمع بين العبادة والاستعانة بمعنى أنه لا يعبد بدون استعانة ولا يستعان به بدون عبادة.

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ):

جاء في كتاب لمسات بيانية أن التعدية بالفعل نفسه تقال لمن يكون في الطريق فنعرفه به كما قال تعالى مخاطباً رسوله (وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) ، ولمن لا يكون في الطريق فنوصله إليه كقول سيدنا ابراهيم لأبيه (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا).

– أما التعدية بالحرف (إلى) فتستعمل لمن لم يكن في الصراط فهداه الله فيصل بالهداية إليه (فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ) .

– وتستعمل التعدية باللام هداه له بمعنى بينه له ، وتستعمل عند الغاية ، فلم تستعمل مع السبيل أو الصراط أبداً في القرآن لأن الصراط ليست غاية إنما وسيلة توصل للغاية. وقد اختص سبحانه الهداية باللام

له وحده أو للقرآن لأنها خاتمة الهدايات كقوله (إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) وقوله (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء)[5].

والتقديم في إياك نعبد وإياك نستعين تقيد الاختصاص ولا يجوز أن نقول إيانا اهدي بمعنى خصنا بالهداية ولا تهدي أحداً غيرنا فهذا لا يجوز لذلك لا يصح التقديم هنا. المعنى تطلب التقديم في المعونة والاستعانة لذا قال: " **اهدنا الصراط المستقيم**".

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ):

يطرح السامرائي في كتابه تساؤلات: لماذا جاءت كلمة الصراط معرفة بأل ومضافة مرة أخرى(**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**)؟ جاءت كلمة الصراط مفردة ومعرفة بتعريفين :بالألف واللام والإضافة وموصوفا بالاستقامة مما يدل على انه صراط واحد موصوف بالاستقامة لأنه ليس بين نقطتين إلا طريق مستقيم واحد والمستقيم هو أقصر الطرق وأقربها وصولا إلى الله.وأي طريق آخر غير هذا الصراط المستقيم لا يوصل إلى المطلوب ولا يوصل إلى الله تعالى. والمقصود بالوصول إلى الله تعالى هو الوصول إلى مرضاته فكلنا واصل إلى الله وليس هناك من طريق غير الصراط المستقيم.

وردت كلمة الصراط في القرآن مفردة، لأن الصراط هو صراط الموصل إلى الله واحد. **قال تعالى:(هذا صراط علي مستقيم) الحجر آية: 41.**

في قوله (**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ**) أدق وأصوب. فلو قال " **تنعم عليهم** " لكان صراط هؤلاء اقل شأنا من صراط الذين أنعم عليهم فصراط الذين انعم عليهم من أولي العزم من الرسل والأنبياء والصديقين أما الذين تنعم عليهم لا تشمل هؤلاء[6]".

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)

لماذا قال " المغضوب عليهم " ولم يقل أغضبت عليهم؟ جاء باسم المفعول وأسنده للمجهول ولذا ليعم الغضب عليهم من الله والملائكة وكل الناس حتى أصدقاؤهم يتبرأ بعضهم من بعض حتى جلودهم تتبرأ منهم ولذا جاءت المغضوب عليهم لتشمل غضب الله وغضب الغاضبين.

ثم انظر من ناحية أخرى، كيف جعل كُلاًّ من المغضوب عليهم والضالين اسماً، وذلك للدلالة على الثبوت، فيكون الغضب عليهم دائماً ثابتاً لا يزول واتصافهم بالضلال على وجه الثبوت أيضاً. فلا يُرْجى لهم خيرٌ ولا هدى، فلم يقل صراط الذين غُضب عليهم وضلوا فيجعل الغضب أو الضلال في زمنٍ دون زمن؛ بل إن هذا الوصف لازم لهم إلى يوم القيامة ثابت لا يزول فهم مغضوب عليهم في الدنيا والآخرة."

(غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) :

لم كرر لا؟ وقال غير المغضوب عليهم والضالين؟ إذا حذفت لا يمكن أن يُفهم أن المباينة"،والابتعاد هو فقط للذين جمعوا الغضب والضلالة فقط، أما من لم يجمعها غير المغضوب عليهم ولا الضالين فلا يدخل في الاستثناء.

فلماذا قدم إذن المغضوب عليهم على الضالين؟ المغضوب عليهم :الذين عرفوا ربهم ثم انحرفوا عن الحق وهم أشد بعدا لان ليس من علم كمن جهل لذا بدأ بالمغضوب عليهم وفي الحديث الصحيح أن المغضوب عليهم هم اليهود وأما النصارى فهم الضالون. واليهود أسبق من النصارى ولذا بدأ بهم واقتضى التقديم[7].

2 ـ 3 ـ المستوى الصرفي:

جاء في كتاب لمسات بيانية تفسير (الْحَمْدُ للّهِ) بأنها ثناء واعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم والإجلال .فإذا تلفظ الإنسان بقوله" :أحمد الله "مع أنه كان قلبه غافلا عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذبا لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك. أما إذا قال" الحمد لله "سواء كان غافلاً أو مستحضراً لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقاً لأن معناه: أن الحمد حق لله وملكه وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلاً بمعنى التعظيم والإجلال أو لم يكن. فثبت أن قوله" الحمد لله "أولى من قوله أحمد الله أو من نحمد الله.

جاءت اللفظتان في قوله تعالى: (**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) صفتان مشبهتان، يقول السامرائي (الرَّحْمَنِ) على وزن فعلان و(الرَّحِيمِ) على وزن فعيل تُفِيدُ الدلالةَ على الحدوث والتجدُّد، وذلك نحو :عطشان وجوعان وغضبان، ولا تفيد الدلالة على الثبوت، وتفيد أيضاً الامتلاء بالوصف... وصيغة) فعيل (تدل على الثبوت في الصفة."[1]. أما صيغة فعيل فهي تدل على الثبوت سواء كان خلقة ويسمى تحول في الصفات مثل طويل، جميل، قبيح فلا يقال خطيب لمن ألقى خطبة واحدة وإنما تقال لمن يمارس الخطابة وكذلك الفقيه.

لذا جاء سبحانه وتعالى بصفتين تدلان على التجدد والثبوت معاً فلو قال الرحمن فقط لتوهم السامع أن هذه الصفة طارئة،كما أن كلمة، قدم سبحانه الرحمن على الرحيم لأن صيغة الرحمن هي الصفة المتجددة وفيها الامتلاء بالرحمة[7].

جاء سبحانه بالصفتين مجتمعتين ليدل على أن صفاته الثابتة والمتجددة هي الرحمة ويدل على أن رحمته لا تنقطع وهذا يأتي من باب الاحتياط للمعنى وجاء بالصفتين الثابتة والمتجددة لا ينفك عن إحداهما، إنما هذه الصفات مستمرة ثابتة لا تنفك البتة غير منقطعة.

(إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ):

1. اهد : فعل أمر على وزن (أفع) و حذف لامه.

2. الصراط : اسم جامد (مصدر) على وزن (فعال) . وهو مشتق من قولهم : صراط الطريق المارة أي ابتلعهم .

3. المستقيم : في الأصل اسم فاعل من (استقام) ثم أصبح وصفاً أي نعتاً.

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)

جاءت أنعمت فعل ماضٍ على وزن أفعل،و ذكرت المغضوب عليهم بصيغة اسم المفعول والضالين بصيغة اسم الفاعل:

– أولاً جيء بكل منهما اسما ولم يقل صراط الذين غضب عليهم وضلوا للدلالة على الثبوت فالغضب عليهم ثابت والضلال فيهم ثابت لا يرجى فيهم خير ولا هدى.

– المغضوب عليهم اسم مفعول يعني وقع عليهم الغضب لم يذكر الجهة التي غضبت عليهم ليعم الغضب عليهم ولا يتخصص بغاضب معين غضب الله وغضب الغاضبين لله من الملائكة وغيرهم بل سيغضب عليهم أخلص أصدقائهم في الآخرة ويتبرأ بعضهم من بعض حتى جلودهم تتبرأ منهم ، فحذف جهة الغاضب فيه عموم وشمول ، أما الضالين فهم الذين ضلّوا. وأما المغضوب عليهم، فقد بناه للمفعول ليعم الغضب عليهم[8].

2 ـ 4 ـ المستوى البلاغي:

"**الحمد لله** " أهي خبر أم إنشاء؟ الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب والإنشاء هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب.

قال أكثر النحاة والمفسرين :أن الحمد لله إخبار كأنه يخبر أن الحمد لله سبحانه وتعالى، وقسم قال :أنها إنشاء لأن فيها استشعار المحبة وقسم قال: أنها خبر يتضمن إنشاء. وهذا هو الراجح في رأيي، فإنها تحتمل الخبر وإنشاء التعظيم، فتجمع المعنيين معاً.. فلماذا لم يقل سبحانه " إن الحمد لله" ؟ ... أن نجعل الجملة خبراً محضا في قول الحمد لله) ستعمل للخبر أو الإنشاء (ولكن عندما تدخل عليه " إن " لا يمكن إلا أن يكون إنشاء.

– (إن) تفيد التوكيد، وليس المقام مقام شك أو إنكار يقتضي توكيدا .

– (إن الحمدَ لله) جملة خبرية تحمل إلينا خبراً واضحاً محدداً (ثبوت الحمد لله تعالى) ولا تحتمل إنشاء ، أما (الحمدُ لله) فتفيد الإخبار بثبوت الحمد لله ، فهي خبرية ولكنها تفيد إنشاء التعظيم واستشعار نعم الله علينا، وفيها معنى الدعاء ، فهي ذات معان أكثر.

والحمد لله هي من العبارات التي يمكن أن تستعمل خبرا وإنشاء بمعنى الحمد لله خبر ونستشعر نعمة الله علينا ونستشعر التقدير كان نقولها عندما نستشعر عظمة الله سبحانه في أمر ما فنقول الحمد لله.

ورد في كتاب السامرائي كلمة الحمد لله وحدها بُدئ بها في أربع سور أخرى كأنما هذه البدايات تحاول أن تبيّن نماذجاً من الحمد، يُحمَد الله عز وجل هنا لرحمته وهنا لفضله وهنا لعلمه وهنا لإعطائه العلم

للآخرين وهنا لخلقه السموات والأرض، فكأن بدايات السور متكاملة:-في الفاتحة الحمد لله هو جنس الحمد، نظام كليٌّ وهناك جزئيات في بدايات أربع سور أخرى بينها نوع من التلازم والتشابك[9].

في الأنعام (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) الكلام على بدء الخلق وفيه معنى التقدير والتصوير، ومن رحمة الله سبحانه تعالى جعل الظلمات والنور.

- في فاطر (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) تكلم على جعل الملائكة رسلا.

- في سبأ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) هذا الذي في السموات والأرض ملك لله سبحانه وتعالى.

- في الكهف (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) الملائكة والرسل وإنزال الكتاب نماذج من آلآء الله ونعمه التي يُحمد عليها.

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قدم صيغة الرحمن والتي هي الصفة المتجددة وفيها الامتلاء بالرحمة لأبعد حدودها لأن الإنسان في طبيعته عجول وكثيراً ما يؤثر الإنسان الشيء الآتي السريع وان قل على الشيء الذي سيأتي لاحقاً وإن كثر.

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ):

العبادة هي علة خلق الإنس والجن **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** والاستعانة هي وسيلة للعبادة فالعبادة أولى بالتقديم، فتبدأ السورة بالحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين وهذه كلها من أسلوب الغيبة أي كلها للغائب ثم انتقل إلى الخطاب المباشر بقوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ).فلو قسنا على سياق الآيات الأولى لكان أولى القول إياه نعبد وإياه نستعين[10].

فلماذا لم يقل سبحانه هذا؟

في البلاغة يسمى هذا الانتقال من الغائب للمخاطب أو المتكلم أو العكس " الالتفات وللالتفات فائدة عامة وفائدة في المقام، أما الفائدة العامة فهي تطرية لنشاط السامع وتحريك الذهن للإصغاء والانتباه.

أما الفائدة التي يقتضيها المقام فهي إذا التفت المتكلم البليغ يكون لهذه الالتفاتة فائدة غير العامة مثال **قال تعالى: (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم)** يونس آية 22.

لم يقل وجرين بكم فيها، لأنهم عندما ركبوا في البحر وجرت بهم الفلك أصبحوا غائبين وليسوا مخاطبين.

(اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ):

قوله تعالى :(اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) هذا دعاء ولا دعاء مفروض على المسلم قوله غير هذا الدعاء فيتوجب على المسلم قوله عدة مرات في اليوم وهذا بدوره يدل على أهمية الطلب وهذا الدعاء لان له أثره في الدنيا والآخرة ويدل على أن الإنسان لا يمكن أن يهتدي للصراط المستقيم بنفسه إلا إذا هداه الله تعالى لذلك[11].

فإذا ترك الناس لأنفسهم لذهب كل إلى مذهبه ولم يهتدوا إلى الصراط المستقيم وبما أن هذا الدعاء في الفاتحة ولا صلاة بدون فاتحة فلذا يجب الدعاء به في الصلاة الفريضة وهذا غير دعاء السنة في قوله**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) البقرة آية 201.**

(اهدنا الصراط) الاستعارة تصريحية فقد شبه الدين بالصراط المستقيم الذي ليس فيه انحراف[12].

3 ـ الأسس المنهجية التي انتهجها السامرائي:

فاضل صالح السامرائي من المفسرين البيانيين المعاصرين الذين حاولوا التقرب من النص القرآني وكشف أسراره الإعجازية بأدوات لغوية محضة، فاستطاع أن يصل إلى الدلالات والمقاصد انطلاقا من اللغة القرآنية معتمدا على بنية الكلمة ودلالتها التي تتميز به دون مرادفاتها وعلى التركيب القرآني وعلاقته بالمقاصد والدلالات، وبذلك سعى إلى اتخاذ مستويات اللغة الصرفية والدلالية والتركيبية وسيلةً للوصول إلى مقاصد القرآن الكريم،واتبع المنهج التقليدي في تفسيره مع مراعاة الوحدة الموضوعية هذا من حيث الطريقة.

لقد عانى منهج التفسير البياني عدة صعوبات حالت دون تطبيقه ،بالصورة التي رسمها واضعه ، رغم ذلك لم يتبقى الحال على هذا النحو فلقد توسعت الدراسات في هذه الأخيرة لرؤى متعددة تختص بالتفسير ذاته ،وقد انتهج السامرائي في تفسيره أسسا حسب نظرة الخاصة والعامة:

- الاحتمالات التعبيرية:

وهي افتراضات النص القرآني على غير وجه الذي قبل به من حيث التركيب مع الاحتفاظ بمفرداته وحروفه دون نقص ،فيقدم ويؤخر بكل الأوجه المحتملة ،وقد يزداد في التعبير أداة يحتملها السياق ،ثم يجري مقارنة بينهما وبين النص القرآني ليقف على براعة التعبير القرآني وإعجازه ،وهذا المنهج الذي رسمه لنفسه وصار عليه في تفسيره لعله شبيه من منهج الباقالاني في مقابلته النص القرآني بنصوص من الخطب والأدب الجاهلي كمعلقة امرئ القيس ، ومن قبله الرماني انتهج هذا السبيل وهذا وإن كان الرماني لم يكثر من هذه الموازنات بين القرآن الكريم وكلام العرب بأنواعه .

إن منهج السامرائي وأسسه وقواعده في التفسير البياني يستوفي الاحتمالات التعبيرية بالموازنة مع النص القرآني الذي يجعله خاتمة هذه الاحتمالات فيقول : لم يكن أحد كفًوا له . لم يكن كفًوا له أحد . له أحد . لم يكن كفواً أحد . لم يكن له كفواً ليذهب بعد ذلك إلى توضيح الحل الذي يتضمنه تعبير المصطلح وما يؤدي إليه من عدول له[13] .

– استخلاص الوجوه الفنية في الآية:

لقد اعتنى السامرائي في تفسيره باستخلاص الوجوه الفنية في كثير من الآيات ،وبعد النظر في مضمونها رأينا أنها تنصب في معنى واحد ،إذ تجاوزنا بعض الفروق البسيطة ،وهو ما يطلق عليها "لطائف التعبير"، وذلك حسب ما يقتضيه السياق التفسيري للآية

– التبصر في عرض ما فتح عليه في التفسير البياني للعامة والخاصة:

فقد انتهج المؤلف في كتبه أسلوب التبسيط واليُسر فيما يعرض إليه من مسائل بيانية وتتجلى في عدة مواطن منها ما ذكر في كتابه بلاغة الكلمة في التعبير القرآني[14] .

4 ـ خاتمة:

بعد الدراسة المستفيضة والبحث الدقيق الذي حاولت من خلاله جاهدة أن أبيّن ما قدمه فاضل السامرائي في كتابه لمسات بيانية ، ختمت بحثي بمجموعة من النتائج أبرزها:

يعد فاضل صالح السامرائي قامةً من المفسرين المعاصرين وصاحب منهج خاص في علم اللُّغة والبيان القرآني .

أما من الناحية التفسيرية وبعد ما عرضنا له من مسائل يمكن أن نقول : أن السامرائي بالنسبة لأهل اللغة مهذب النحو العربي وفذ في حقل التفسير وذلك في تحقيق التفسير القرآني.

–اهتمامه بالسياق حيث يعتبر الوجه التعليلي الأبرز لها ،تستقر عليه مداولات الألفاظ ومعاني الآيات على ما يتناسب.

– تميز السامرائي بطريقة العرض جعلت من التفسير البياني مادة متاحة للعام والخاص.

– ولعل آخر ما نسجله من استنتاجات حول ما اتسم به منهج السامرائي في تفسيره في لمسات بيانية هو عرض أرائه دون تعرض لمخالفات وذلك لإحكامه لقواعد اللغة،لا لأقوال من سبقوه.

– من خلال دراستي لسورة الفاتحة في كتاب لمسات بيانية لمحت ملاحظات وهي أن السامرائي بذل جهودا جبارة في ذكر جماليات السورة لفظا ومعنى فلم يترك جانبا إلا وذكره وقد ألّم بكل مستوياتها من نحو وصرف ودلالة وبلاغة وهذا ما جاء منسجما مع عنوان كتابه لمسات بيانية في نصوص من التنزيل.

5 ـ الهوامش:

[1] فاضل صالح السامرائي،لمسات بيانية في نصوص التنزيل،دار عمار،د م،دط،دت،ص:11

[2] فاضل صالح السامرائي،لمسات بيانية في نصوص التنزيل،المرجع نفسه،ص:19.

[3] المرجع السابق،ص20.

[4]معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن:ص41.

[5] معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي المرجع نفسه،ص42.

[6] درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ط1، 1393هـ/ 1973م،ص36.

[7] فاضل صالح السامرائي،لمسات بيانية في نصوص التنزيل، المرجع نفسه،ص55.

[8] فاضل صالح السامرائي،لمسات بيانية في نصوص التنزيل، المرجع نفسه،ص 33.

[9] المرجع نفسه،ص:66.

[10] فاضل صالح السامرائي،لمسات بيانية في نصوص التنزيل،دار عمار،د م،دط،دت،ص81.

[11] معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ط1، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر الموصل، دار الفكر، عمان، الأردن،ص17.

[12] معاني النحو، فاضل صالح السامرائي،المرجع نفسه،ص18.

[13] فاضل صالح السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج1، كلية الآداب والعلوم ،جامعة الشارقة ،1423-2002،ص25-26.

14 عز الدين عبد السالم ،ابن أبي قاسم ابن الحسن ،الدمشقي ،دار البشائر اإلسالمية ،بيروت ،ط1، 1407هـ-1987، ص52.

6 ـ قائمة المراجع:

[1] فاضل صالح السامرائي،لمسات بيانية في نصوص التنزيل،دار عمار،د م،دط،دت.

[2] معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

[3] درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ط1، 1393هـ/ 1973م.

[4] معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ط1، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر الموصل، دار الفكر، عمان، الأردن.

[5] فاضل صالح السامرائي ،على طريق التفسير البياني ،ج1، كلية الآداب والعلوم ،جامعة الشارقة ،1423-2002.

[6] عز الدين عبد السالم ،ابن أبي قاسم ابن الحسن ،الدمشقي ،دار البشائر الإسالمية ،بيروت ،ط1، 1407هـ-1987.